في عقلها، ورأى أفراد الأمة بعد فتح مكة قد كثروا. فمن يرعاهم إذا اختلفت ألفاظهم، ومن يردهم إذا نقصوا أو زادوا؟ والرسول كما قال ا فيه: (بالمؤمنين رءوف رحيم) يسعى إلى التخفيف عن الأمة، ولا يريد أن يشق عليها، فقد سأل ا من قبل أن يخفف عنهم الصلوات الخمسين حتى صارت خمس صلوات في اليوم والليلة، كما يعلم أن ا بشئون عباده عليم خبير، وفي أحكامه حكيم بصير، فقد جعل ا سبحانه وتعالى في أول أمر المسلمين كل فرد منهم في الجهاد بعشرة أشخاص (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) الأنفال / 65.

ثم لما كثروا وهو عالم بضعفهم خفف عنهم فجعل في القتال كل رجل يعادل اثنين (الآن خفف ا عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن ا) الأنفال / 66.

لهذا لجأ الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم) إلى ا يسأله التخفيف عن امته والرحمة بها)إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ الفاني والعجوز الكبير()فأتاه جبريل فقال إن ا يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد، فقال الرسول: أسأل ا معافاته ومغفرته سل ا لهم التخفيف فإنهم لا يطيقون ذلك، فانطلق جبريل ثم رجع فقال: إن ا يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: اسأل ا معافاته ومغفرته انهم لا يطيقون ذلك سل ا لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال إن ا يأمرك إن تقرئ امتك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة.

لقد جاءت رحمة ا وصدر الإذن بأن يُقرأ القرآن بحروف مختلفة ـ والسبعة دليل الكثرة ـ يعلمه جبريل (عليه السلام) الحروف، وهي الألفاظ وأداء الجملة ـ كما تؤيد ذلك اللغة ـ على شريطة ألا يتغير المعنى، ولا يختلف السياق، فبدأ الرسول يلقن الصحابة ما أنزل ا عليه، هذا يلقنه الآية بألفاظ، وذلك يلقنه الآية